مقدمة عن البلاغة العربية

أولًا: نشأة علم البلاغة

استقرَّ علم البلاغة على يدي **أبي يعقوب السكاكي**، ولم يطرأ أي تغيير أو تطور عليه منذ بداية القرن السابع الهجري، وقد شمل هذا الاستقرار العلوم الثلاثة التي كانت مرتبطة به، وهي علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني، وأيضًا الفنون الأخرى التي تفرعت عن هذهِ العلوم، فضلًا عن مناهج البحث البلاغي والأساليب البلاغية التي كانت تنهج النهج نفسه الذي أسسه السكاكي وسار عليه تلاميذه من بعده، ومن المعلوم أنَّ التطورَ الوحيد الذي طرأ على علوم البلاغة في تلك الفترة هو استحداث فنون أخرى من الفنون التي تنتمي إلى علوم البلاغة الثلاثة، وخاصة علم البديع الذي نتج عنهُ فروع عدّة .

كانت البلاغة العربية قبل أن تصل إلى ما وصلت إليه من حال الثبات والاستقرار قد مرّت بفترة زمنية طويلة استغرقت أربعة قرون، فقد نشأت في بداية القرن الثالث الهجري، وكانت ملامحها في البداية بسيطة ومتواضعة وفي الوقت نفسه تابعة للعلوم الأخرى، وقد مرَّت البلاغة العربية خلال هذه الفترة **بثلاث مراحل:**

1ـ **مرحلة النشأة** : في هذه المرحلة لم تكن ملامح البلاغة واضحة تمامًا ولم يكن لها القدرة على تبني مسائل وقضايا كاملة إنما كانت عبارة عن ملاحظات وأفكار منتشرة داخل مصنفات العلوم الاخرى التي سبقتها قبل النشأة .

2ـ **مرحلة التكامل المشترك** : في هذه المرحلة أخذت البلاغة شكلًا آخر حيث اصبحت الأفكار والملاحظات التي رافقت المرحلة الأولى تنضج وتنمو وتتعمق في ثنايا كتب العلوم الاخرى، لتتحول بعد ذلك الى فصول كاملة لكنها لا زالت مختلطة بهذه المؤلفات ولم يكن لها كتب خاصة بها .

3ـ **مرحلة الاستقرار والتفرد** : هي المرحلة الاخيرة وفيها اتخذت البلاغة صيغة محددة اتسمت بوضوح المعالم وبشكلٍ نهائي، حيث أصبحت علمًا مستقلا له مؤلفاته الخاصة وبهذا استطاعت البلاغة التحرر والانفكاك .

تفصيل لتلك المراحل السابقة :

أخذت الملاحظات البلاغية تنشأ عند العرب منذ **العصر الجاهلي**، وقد عرف العرب بأنَّهم أهل فصاحة وبلاغة وبيان، ومن أكبر الدلائل على أنَّهم بلغوا في البلاغة درجة عالية هي معجزة الرسوم الأكرم (ص) وحجته الدالة على نبوتهِ هي القرآن الكريم، حيث دعاهم إلى معارضتهِ وتحداهم بأن يأتوا في بلاغته الباهرة .

وقد وصف الجاحظ العرب بالبلاغة والفصاحة وقد كانت لهم أماكن يختبرون فيها فصاحتهم وبلاغتهم ومعرفتهم بعلم البيان، فمن ذلك النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء تُعرض عليه أشعارها فيقول فيها كلمته فتسير بين الناس وتشتهر، ومثال ذلك في قصته المشهورة في تفضيل الخنساء على بنات جنسها فثار لذلك حسان بن ثابت وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها، فقال النابغة تقول ماذا؟ قال أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال له النابغة: لقد أقللت جفانك وسيوفك، ولو قلت (يلمعن) في الضحى لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف في الليل أكثر طروقًا، وغير الكثير من الملاحظات النقدية والبيانية .

وفي العصر الإسلامي: لقد كان للقرآن الكريم أثر بالغ في نشأة البلاغة وتطورها، فقد عكف العلماء على دراستهِ وبيان أسراره واتخذوه مدارًا للدرس البلاغي، فقد اتخذوا آياته شواهد على أبواب البلاغة واعتبروها مثالا يحتذى به في جمال النظم وحسن التركيب .

وفي العصر الاموي: أخذت الملاحظات تنمو في العصر الأموي لأسبابٍ عديدة منها: تحضر العرب واستقرارهم في المدن ونهضتهم العقلية ثم ظهور الجدل الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة وغيرها، فكان طبيعيا أن تكثر الملاحظات البيانية والنقدية .

وأما في العصر العباسي: منذ مطلع النصف الثاني من القرن الأول الهجري يلاحظ اتساع دائرة الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي أو المجالس التي تضم عددا من علماء البلاغة والبيان، ولقد شهد القرن الثاني حركة أدبية واسعة وكانت الحواضر والمدن تتمخض عن نهضة علمية كبيرة، وقد عرف هذا القرن بعض **الكتب البلاغية ومنها**: **كتاب الفصاحة لأبي حاتم**

السجستاني، ونشطت في العصر العباسي الثاني المناظرات البلاغية وأخذوا يدونون كل ما من شأنه أن يكسب الكلام حسنًا وجمالًا، ومن أوائل العلماء الذين كتبوا أشياء **تتعلق بالبلاغة ومنهم: الفراء في كتابهِ (معاني القرآن)** فقد ذكر فيه بعض الاساليب البيانية والتراكيب الاعرابية، ثم جاء بعده **الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)** فقد ذكر الكثير من بلاغات العرب وتحديداتهم لمعنى البلاغة والفصاحة، ثم جاء بعده **ابن المعتز الذي ألف كتابا سماه (البديع)** وهذا الكتاب له قيمة كبيرة في تاريخ نشأة البلاغة، ثم انتهى الأمر على يد أبي يعقوب السكاكي الذي قام بتقنين قواعد البلاغة مستعينا في ذلك بقدراته المنطقية على التعليل والتعريف، والتفريع والتقسيم وبذلك تحولت البلاغة على يديه إلى مجرد قواعد وقوانين صيغت في قوالب منطقية جافة، وإنَّ كل من جاء بعد السكاكي فإنهُ سار على نهجهِ ونسج على منوالهِ وصارت المؤلفات بعده لا تخرج عن كونها ترديدًا وتكرارًا لمادته .

ثانيًا: أهداف البلاغة العربية

1ـ الهدف الديني: وهو خدمة القرآن الكريم لكي يبرهنوا على اعجازهِ ويفهموا آياته وأسلوبه ليستنبطوا الأحكام، وكانت هذه من أهم الأهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف .

2ـ الهدف التعليمي: وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى، وأدى ذلك الاتصال الى فساد اللغة ودخول اللحن فيها .

3ـ الغرض النقدي: وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء .

تعريف البلاغة لغةً واصطلاحًا:

البلاغة لغةً: بلغ الشيء يبلغ بلوغًا وبلاغًا وبلاغة: أي وصل وانتهى .

البلاغة اصطلاحًا: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ .

مدخل في تعريف علم البلاغة

يقسم علم البلاغة على ثلاثة أقسام، هي: علم البيان ، وعلم المعاني ، وعلم البديع ، وكل علم من هذهِ العلوم يُقسم إلى أقسامٍ فرعية تشترك جميعها في وظيفة واحدة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتجميل الألفاظ . وفيما يلي تعريف كل علم من العلوم مع إشارة إلى أهم فروعه.

1ـ علم البيان : وهو إيراد المعنى الواحد بطرقٍ يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة، أي أنَّه يهتم بكيفية نقل المعاني والأفكار، ويقسم إلى التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل والمجاز العقلي .

2ـ علم المعاني : وهو العلم الذي يُعنى في البحث في تقسيم الكلام إلى جملٍ خبرية وجملٍ انشائية، مع بيان الفرق بين الجمل الخبرية والجمل الانشائية، فالجمل الخبرية هي التي يُحكم عليها بالصدقِ أو الكذب، مثل: جاء خالد، أما الجمل الإنشائية فهي التي لا يحكم عليها بالصدق أو بالكذب كالاستفهام والذم والمدح والتعجب والتمني والرجاء .

3ـ علم البديع : وهو العلم الذي يجمع بين الجمال المعنوي المتعلق بمعاني الألفاظ وبين الجمال اللفظي المتعلق بأشكال الألفاظ أو نطقها واختلافها في المعنى أو اتفاقها فيه، ويشتمل على المحسنات اللفظية كالجِناس والسجع، والمحسنات المعنوية مثل الطباق والمقابلة والتورية .

علاقة البلاغة باللغة العربية

إنَّ البلاغة فن من فنون اللغة العربية لا يستغني عنها أديب أو ناقد، فالأول: يعرف بها سبل القول وطرائق التعبير، والثاني: يميز بها رائع الكلام وجميله من ساقطه ورديئه .

وتمثل البلاغة روح اللغة بل علم من علوم اللغة، بها وبالنقد يقاس الأدب ويميز حسنه من رديئهِ وجميله من قبيحهِ، وهي روح الأدب كما يقال .

والبلاغة من العلوم العربية الاسلامية وقد خدمت اللغة خدمة عظيمة وأبرزت ما في القرآن من وجوه الجمال وأوضحت سر الإعجاز وذلك بالبحث في أسلوبهِ وطريقة أداء المعاني .

كما أنَّ البلاغة ليست مقصورة على العربِ ولا على أمة دون أمة وإنَّما هي سمة عظيمة القدر في اللغات التي بلغت درجة كبيرة في التطورِ والارتقاءِ .

أهمية دراسة البلاغة العربية

1ـ تنمية التذوق الأدبي: تساعد على فهم الأدب بعمق والاستمتاع بجماله.

2ـ تطوير القدرة على التعبير: تمنح المتعلم أدوات تمكّنه من تأليف الكلام البليغ.

3ـ فهم النصوص الأدبية بعمق: تساعد في استشعار جمال النصوص الأدبية في الشعر والنثر.